مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية | ISSN: 1112-9212
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر - جامعة الجلفة | مجلد: 10 عدد: 02 الجزء: 02 2017

نحو تفعيل مثمر لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

د. خالدي مسعودة
جامعة الجلفة
khaldi_socio@yahoo.fr

الملخص :

يعتبر التعليم عنصرا أساسيا للتنمية ،فهو يساعد على تمكين الناس من أسباب القوة وتدعيم الدول، فضلا عن انه يرسي أسس النمو الاقتصادي المستدام، ويحتل التعليم مركز الصدارة في رسالة البنك الدولي المعنية بالحد من الفقر

وأغلب دول العالم اليوم متقدمة كانت أو نامية تعطي اهتماما كبيرا لنظامها التربوي وكلها عزم على مواكبة الركب الحضاري، الذي لا يتأتى اليوم إلا من خلال سياسة تربوية وتعليمية قائمة على أسس عالمية. وبالتالي كانت عملية إصلاح هذه النظم مطلبا مهما لجميع هذه الدول.

وبالنسبة للجزائر فقد شهد التعليم بمختلف مستوياته جملة من الإصلاحات والتحويرات ، منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، تسعى من خلالها السياسة التربوية الجزائرية إلى محاولة تفعيل دور التعليم في مجال بناء الوطن بعد مرحلة التحولات التي عرفتها الجزائر خاصة خلال 15 سنة الأخيرة على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ونظرا للاهتمام العالمي المتزايد للتربية والتعليم في ظل الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي الحاصل والذي أصبح يفرض نفسه بقوة ولم يترك الخيار ليس فقط للجزائر وإنما لمختلف دول العالم العربي والإفريقي والعالم المتخلف عموما لما يعانيه من مشاكل تعوقه عن اللحاق بالركب المعرفي والرقمي الذي سيطر عليه العالم الغربي والمتقدم من انجازات باهرة في مجال تجويد العملية التعليمية والسعي لتحقيق أهداف التربية.

ونظرا لما تعانيه المنظومة التربوية الجزائرية من مشكلات ، كالتراجع الكبير في المستوى النوعي للتعليم على أساس المعطيات الكمية، وما عرفه قطاع التربية من تسرب وفشل مدرسيين، أصبح من المهم جدا الإسراع في تغيير أساليب التدريس والتكوين وتحوير المضامين والمناهج الدراسية، وذلك بتطبيق مشروع المقاربة

بالكفاءات وهي تجربة كندية، حققت من خلالها كندا نجاحات كبيرة خاصة في تكوين المعلمين والمتعلمين ومختلف القائمين على التعليم.

إن الهدف من بحثنا هذا ليس التعريف ببيداغوجيا المقاربة بالكفاءات و لا بخصائصها و مقوماتها فلقد أصبحت واقعا ينتظر منه ان يكون فعالا و مثمرا. و إنما الهدف هو معرفة الضوابط و الشروط الواجب مراعاتها من أجل تفعيل مثمر لهذه البيداغوجيا.

الكلمات المفاتيحية:
تفعيل ، بيداغوجيا ، المقاربة ، مفهوم الكفاية و الكفاءة ، مقاربة التدريس بالكفاءات

مقدمة:

تستمد قوة الأمم دعائمها من طبيعة و نوعية و مقومات التعليم الذي تتبناه و تسهر على ضمان و تأمين سيره الطبيعي. و على هذا فالخطوات لابد أن تكون محسوبة و مراقبة خوفا من أي انزلاق قد ينتج عنه عواقب يصعب التحكم في تداعياتها و إصلاح مكامن الخلل خاصة و أن الأمر يتعلق ببناء شخصية الإنسان التي لا يمكن تشبيهها بمحرك يصلح عطبه باستبدال قطعة غيار بأخرى. و على هذا فالاختيار و التبني والممارسة في التعليم مسؤولية و أمانة يقوم بها أهل الخبرة و بعد النظر، أولئك الذين يمتلكون من الزاد المعرفي و اللغوي و القيمي و المنهجي ما يمكنهم من وضع البيداغوجيا في الغربال للنظر في قدرتها على الاستجابة لغايات و مرامي و فلسفة التعليم.

فليس من الضروري أن تنجح بيداغوجيا معينة في بلد ما لنسارع إلى تبنيها. فالمقومات الدينية و الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية تختلف حسب مرجعيات كل بلد، و من الضروري أن تكون البيداغوجيا قابلة للتكيف مع الواقع و منفتحة على التعديلات.

إن فكرة تبني بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في بلادنا انبثقت من التطور الذي شهده و لا يزال يشهده العالم المعاصر في جميع جوانب الحياة فكريا و علميا و تكنولوجيا و اجتماعيا و سياسيا و واقتصاديا و في وسائل الاعلام و الاتصال و الاشهار. فهي ليست خيارا اعتمدته مؤسساتنا التعليمية بغرض التغيير و إنما هي ضرورة اقتضتها التحولات و المستجدات التي تعرفها المجتمعات المعاصرة حتى تستطيع مواكبة التسارع الرهيب الحاصل في كل المجالات و تحقيق التطور المطلوب.

غير أن هذه البيداغوجيا تعرضت للكثير من الانتقادات التي تفاوتت و تباينت من حيث قوتها و حدتها، والحقيقة التي لايمكن ردها أو نكرانها أو عدم الاكتراث بها أنه من حق أي واحد أن يبدي وجهة نظره في قضايا التعليم و التكوين لأن العبرة بالنتائج. و النتائج في التعليم منها الآنية و الآجلة فإذا كان أمر

الآجلة موكولا بالدرجة الأولى لأهل الإختصاص، فإن الآنية يشترك في رصدها و إبداء الرأي فيها المختص و غير المختص ، المتعلم و غير المتعلم، البسيط و المثقف.

إن الهدف من بحثنا هذا ليس التعريف بهذه البيداغوجيا و لا بخصائصها و مقوماتها فلقد أصبحت واقعا ينتظر منه ان يكون فعالا و مثمرا.

إن الهدف من بحثنا هذا هو معرفة :

ماهي الضوابط و الشروط الواجب مراعاتها من أجل تفعيل مثمر لهذه البيداغوجيا (بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات) ؟

سنتناول بالشرح و التحليل الضوابط التالية:

- أسباب اختيار هذه البيداغوجيا\
- التمثّل الجيد للبيداغوجيا و مفاهيمها
- المصاحبة الميدانية
- خلايا التتبع عن بعد
- إحداث شبكات للتواصل و التنسيق
- توفر المؤسسات التعليمية على المقومات الملائمة لتنزيل البيداغوجيا
- الادارة التربوية و دورها في تسيير و تنزيل البيداغوجيا
- التكوين المستمر دعامة قوية لكل إصلاح بيداغوجي.
- أهمية الموضوع :

ترجع أهمية البحث إلى مايلي :

1 - بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات على خلاف كل البيداغوجيات التي تم تطبيقها في المنظومة التربوية تتجاوز حدود المدرسة و تخاطب الانسان مهما كان سياق تفاعله و تواجده، و خلفياتها النظرية هي العلوم المعرفاتية و بيداغوجيا الادماج و بيداغوجيا التفعيل...

2 - بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات تشمل كل أطراف و مكونات العملية التعليمية (التلميذ، المدرس، الحارس العام، الناظر، المدير، الموجه، المفتش..).

3 - الانتقادات التي إستهدفت و بكيفية متواصلة بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات هي إنتقادات تتفاوت وتتباين من حيث قوتها و أصالتها و مصادرها .

- إضاءة مفهومية:

1 - تفعيل:

- لغة: فعّل حسب معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي - هي :

فعَّلَ يفعِّل ، تفعيلاً ، فهو مُفعِّل ، والمفعول مُفعَّل

فعَّل الأمرَ : نشَّطه ، قوّاه ، نفّذه

-إصطلاحا:

التفعيل : هو التغيير والحركية والتفاعل الدينامي والبناء والنماء والممارسة والخلق والإبداع والتنشيط والمساعدة والتعاون الجماعي.

التفعيل في المجال التربوي فيعني جعل المدرسة مؤسسة فاعلة ومبدعة وخلاقة ومبتكرة، وألا تكتفي بالتلقين والتعليم، بل لابد من الابتكار والإنتاج.

كما يحيلنا التفعيل أيضا إلى إخراج الحياة المدرسية من السكونية والروتين ورتابة الحياة المغلقة إلى الحركية وديناميكية الفعل التربوي وتنشيطه إيجابيا.

و هذا التفعيل قد يكون خارجيا أو داخليا ذاتيا، فيتم تفعيل المدرسة خارجيا من خلال المشاركة والتعاون بين المؤسسة وشركائها الاقتصاديين والاجتماعيين وكافة المجتمع المدني. فالتفعيل هنا يكون بمعنى التغيير والتحريك الإيجابي عن طريق خلق شراكات ومشاريع مع المؤسسة وتحفيز المبادرة الفردية أو الجماعية لتنشيط المدرسة وتفعيلها إيجابيا. وقد يكون هذا التفعيل ذاتيا من قبل المتعلم في علاقته مع الإطار التربوي أو الإداري أو زميله المتعلم داخل فضاء المدرسة.)[1]

2 - بيداغوجيا:

- لغة : البيداغوجية حسب معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي - هي :

إسم (تنشيط)

عِلْمُ التَّرْبِيَةِ ، يَهْدِفُ إِلَى تَنْشِئَةِ الأَطْفَالِ وَتَعْلِيمِهِمْ حَسَبَ مَنَاهِجَ وَطُرُقٍ عِلْمِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ

- إصطلاحا :

البيداغوجيا : مصطلح تربوي أصله يوناني ويعني لغويا العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة.

- البيداغوجيا حسب عالم الاجتماع إميل دوركايم:

هي أنماط تصور التربية وليس أنماط تطبيقها ؛ " إن التربية ماهي إلا مادة البيداغوجيا، هذه الأخيرة تكمن في نمط التفكير في أشياء التربية، مما جعل البيداغوجيا متقطعة على الأقل في الماضي، بينما التربية مستمرة. ".[2]

يضيف " إميل دوركايم " أن البيداغوجيا شيء آخر غير علم التربية." فالبيداغوجيا هي نظرية تطبيقية لا تهتم علميا بأنظمة التربية، وإنما تفكر في تزويد المربي بأفكار توجيهية". [2]

3 -المقاربة:

- لغة: المقاربة حسب معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي -

المقاربة هي إسم و مصدر قَارَبَ

- مُقَارَبَةُ نَصٍّ : النَّظَرُ فِيهِ ، تَحْلِيلُهُ لِمَعْرِفَةِ أَوْجُهِهِ

- إصطلاحا:

المقاربة :"هي تصور لدراسة أو معالجة المشكل أو بلوغ غاية ترتبط بنظرة المتعلم إلى المحيط الفكري الذي يحبذه، و كل مقاربة ترتبط بإستراتيجية عمل" [3]

4 - الكفاية:

- لغة : كفى، يكفي، كفاية إذا قام بالأمر، و الكفء النظير لغة[4]

إصطلاحا:

الكفاية: هي الاستعداد لقوة القيام ببعض الافعال مثل كفاية إدارة ما، و التي تمارس في حدود القانون[3]

- مفهوم الكفاءة :

"هي القدرة الذهنية و الفيزيولوجية التي تمكن من تشغيل مجموعة منظمة من المعلومات، المعارف والمهارات و السلوكيات و الآداءات التي تسمح بانجاز عدد من المهام في وقت قياسي و بأقل الأخطاء" [5]

- مفهوم المقاربة بالكفاءات :

"هي بيداغوجيا وظيفية تعمل على التحكم في مخرجات الحياة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات وتعقيد في الظواهر الاجتماعية، و من ثم فهي إختيار منهجي يمكن المتعلم من النجاح في هذه الحياة على صورتها و ذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية و جعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة. [6]

- المرجعيات التربوية التي عرفتها المدرسة الجزائرية:

لكل منظومة تربوية فلسفة ترتكز عليها و تستند إلى مبادئها، تمثل هذه الفلسفة كافة القيم والاتجاهات و المبادئ و الأسس الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الدينية السائدة في المجتمع. هي التي تحدد نمط شخصية الفرد المرغوب فيها بفعل التربية و التعليم و تعكس ذات المجتمع و آماله و تطلعاته.

و التطور الحاصل في الميدان التربوي و التعليمي في عصرنا مرده إلى ظهور أسس فلسفية جديدة تأسست عليها التربية و قام عليها التعليم. فكان أن أعرض الانسان عن أسس وطرق وطبيعة و أهداف التربية

والتعليم الكلاسيكية، و أقبل على التربية الجديدة بمقولاتها و مناهجها و غاياتها و بطابعها العلمي التجريبي و بخاصية الديمقراطية و الحرية التي تعكس التطور الهائل في جميع الميادين و بهيمنة العولمة على كافة شعوب العالم و على جميع مناحي الحياة.

لقد شهدت المنظومة التربوية الجزائرية خلال العقود الماضية مجموعة من التغيرات على مستوى الطرق الديداكتيكية و المناهج و أساليب التدريس و التقويم و لجن الاعتماد و التأليف . فتعاقبت على مدارسها ثلاث مرجعيات تربوية مختلفة هي على التوالي:

1 - بيداغوجيا التدريس بالمضامين:

تقوم هذه المقاربة على أساس المحتويات. فالنمط البيداغوجي بها تقليدي حيث يجعل من التلميذ مستقبل و مخزن للمعرفة دون الاهتمام بتحضيره لمواجهة مواقف و ظروف الحياة الاجتماعية المتغيرة. بإمكاننا ان نختصر هذه المقاربة في عمليتين اساسيتين و هما:

- العملية الأولى إكتساب المعرفة كمقررات جاهزة كما و نوعا.
- العملية الثانية إستحضار هذه المعرفة في حالة المساءلة.

من اهم عيوبها :

- التركيز على المادة
- الاهتمام بإيصال المعلومات
- عدم الاهتمام بمنطق التعلم
- صعوبات في إختيار وسائل التقويم

2 - بيداغوجيا التدريس بالأهداف:

تستمد هذه المقاربة أفكارها من النظرية السلوكية التي جعلت من مفهوم الهدف النواة الصلبة لكل عملية تعليمية " فممارسة التدريس حسب هذه البيداغوجيا لا يقتضي الأخذ بعين الاعتبار مجموع الأهداف فحسب بل يقتضي ترجمتها إلى وسائل (طرق ، تقنيات ، إجراءات ، أدوات، سلوكات....) تمكن التلميذ من إكتساب مجموعة المعارف و الكفايات تفيده في الوصول إلى الأهداف المتوخاة ".[7]

يمكننا إجمال أهم ما قدمته هذه البيداغوجيا في ميدان التعليم في الرسم التالي:

يمكننا القول بأن مقاربة التدريس بالأهداف تركز على ثقافة التفكير و التخطيط المسبق و التحديد الدقيق للأهداف الخاصة و الأهداف الاجرائية الموجهة لكل نشاط تعليمي تعلمي و التي ستحدث عند المتعلم على مستوى المعارف و المعلومات، المواقف و الاتجاهات و المهارات الحس -حركية أو بتعبير مختصر هذه الأهداف ستحول إلى سلوكات و قدرات عند المتعلم بتبني منهجية تقوم على مراحل أربعة هي التخطيط و الهيكلة و التنفيذ فالتقويم الذي ينصب أساسا على تقويم الأهداف.

إلا أن هذه المقاربة واجهتها الكثير من العراقيل من أهمها أن الأساتذة يجدون صعوبة كبيرة في التمييز بين أنواع الأهداف - غاية - مرمى - هدف عام - هدف خاص - هدف إجرائي - و صعوبة في صياغة الهدف الاجرائي و كذا في صياغته في أفعال لغوية تترجم داخل القسم إلى سلوكات قابلة للملاحظة والتقويم . و يمكننا الذهاب إلى حد القول أن الأساتذة بإعتبارهم الفاعلين الأساسيين داخل الأقسام لا يعرفون بدقة المرجعية النظرية التي يرتكز عليها التعلم و لا الطرق المعتمدة في إكتساب المعارف هل هي طرق ذات مرجعية سلوكية أم بنائية تكوينية أم معرفية...و حتى إن كانوا على علم بها فهم لم يدرسوها بنوع من التفصيل و الدقة و هذا ما أكدته بعض الدراسات العلمية حيث أن المعلمين المتخرجين من معاهد التكوين تنعدم لديهم مؤشرات تساعدهم في تمييز مستوى عن آخر أما ذوي التوظيف المباشر فالسبب هو عدم تلقيهم لأي تكوين في مجال مقاربة التدريس بالأهداف.

3 - بيداغوجيا التدريس بالكفايات:

إن المقاربة بالكفايات مبنية على منطق التعلم المتمركز على " مجموعة من المعارف و المهارات و الاتجاهات المكتسبة و المندمجة بشكل مركب و التي يقوم الفرد بتجنيدها و توظيفها قصد مواجهة مشكلة ما في وضعية محددة.[8]

فالمهم في هذه البيداغوجيا ليس تلقين التلميذ معارف فحسب بل أيضا و بالخصوص في إستعمال قدراته في وضعيات يومية تنطبق على حياته و تساعده على التعلم بنفسه.[9]

يمكننا إجمال أهم ما جاء في هذين التعريفين في النقاط التالية :

- إن المقاربة بالكفاءات تقوم أساسا على تجميع و تركيب جملة من المعارف و المهارات و الاتجاهات عن طريق الاكتساب و الاندماج.

- إن الهدف من تجميع و تجنيد كل هذه المهارات و المعارف هو توظيفها لمواجهة مشكل ما في وضعية محددة.

- بناءا على ذلك فإن المقاربة بالكفاءات تشمل كل اطراف و مكونات العملية التعليمية (التلميذ، المدرس، الحارس العام، الناظر، المدير ، الموجه، المفتش، المدير الجهوي . . .).

- و بالنظر إلى خلفياتها النظرية تبين أنها تتجاوز حدود المدرسة و أنها تخاطب الانسان مهما كان سياق تفاعله و تواجده و خلفياتها النظرية هي العلوم المعرفاتية و بيداغوجيا الادماج و بيداغوجيا التفعيل.

- الضوابط و الشروط الواجب مراعاتها من أجل تفعيل مثمر لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:

1 - أسباب إختيار هذه البيداغوجيا او تلك:

إن البيانات الرقمية و المعطيات التي يتم رصدها من الواقع التربوي المعاش، نتيجة تبنيه و لعقد من الزمن بيداغوجيا معينة أدت إلى وجود إضطراب أو خلل في الكيان التربوي أو في سير العملية التعليمية و في عدم كفاءة خريجيها يجعلنا نفكر بجدية و بعمق قبل التجرأ على أخذ قرار بشأن إستبدال هذه البيداغوجيا بأخرى . لذلك يجب أن تكون قراراتنا واقعية و خطواتنا محسوبة و مراقبة خوفا من أي إنزلاق قد ينتج عنه عواقب يصعب التحكم في تداعياتها.

و إن كان اختيار هذه البيداغوجيا هو نتيجة التطور المتسارع الذي يشهده العالم في جميع المجالات الاجتماعية و الاقتصادية و التكنولوجية و في حركية المعلومات و الافكار و التصورات و المبادئ والقيم و المفاهيم . . . فإن الامر يحتم علينا تكييف هذه البيداغوجيا مع واقعنا و مع مقوماتنا الثقافية والاقتصادية. فاحتفاظ مجتمع ما بهويته و خصوصيته لا يتناقض مع الانفتاح و التعايش و التسامح والتعاون . . . و جعلها - أي البيداغوجيا - منفتحة على التعديلات بما يتوافق و نظامنا التربوي.

في هذا السياق جاء إختيار التدريس وفق المقاربة بالكفاءات كتصور و منهج لتنظيم العملية التعليمية من خلال نظرة جديدة لمحتويات التعليم و الكتاب المدرسي و طرائق التدريس و الانشطة التعليمية و الوسائل والتقويم و الزمن البيداغوجي و لاثراء و دعم و تحسين البيداغوجيا و ليس للتنكر أو لمحو فن تربوي عمره سنوات طويلة و جاءت أيضا من أجل :

أ - ترسيخ المعارف في الثقافة و النشاط لأن المعارف المدرسية لا معنى لها بالنسبة للتلاميذ ما دامت منفصلة عن مصادرها و عن استعمالاتها الاجتماعية

ب - المقاربة بالكفاءات تمثل ثورة تعليمية للمعلمين و للاساتذة و هي تتطلب بالفعل :

- تبني تخطيط مرن و ذو دلالة
- العمل باستمرار عن طريق المشكلات
- اعتبار الموارد كمعارف ينبغي تسخيرها
- ابتكار او استعمال وسائل تعليمية مناسبة و هادفة
- مناقشة و قيادة مشاريع مع التلاميذ
- ممارسة تقويم تكويني في وضعيات العمل .

2 - التمثل الجيد للبيداغوجيا و مفاهيمها :

إن "كل بيداغوجيا تتأسس على مجموعة من المفاهيم التي تنتظم داخلها و تمثّل هذه المفاهيم يبقى أمرا ضروريا لإحتوائها و التحكم فيها ، و لا يكفي هنا التمثّل النظري للمفاهيم بل لابد من تكوين صورة واضحة المعالم حول كيفية توظيفها على أرض الواقع".[10]

ذلك أن إعطاء تصور واضح سليم ودقيق عن البيداغوجيا المراد تبنيها يعد أمرا ضروريا لأن أي خلل في التمثّل ينعكس سلبا على مستوى التنزيل إذ لا يخفى أن العديد من الثغرات التي تعرقل السير الطبيعي لأي منظومة تربوية تعد بالأساس إلى إضطراب في تصور المفاهيم هذا الاضطراب الذي نستطيع أن نلمسه بوضوح في غياب تصور موحد حول مفاهيم عدة.

و من الأمور التي يجب التأكيد عليها أيضا هو معرفة المرجعيات التي تستمد منها البيداغوجيا مقوماتها و هذا الأمر لن يتأتى إلاّ بتتبع الخيوط التي نسجتها لتؤخذ بعين الاعتبار في جميع الخطوات و القرارات.

و ليكون تمثّلنا جيد لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات علينا التعريف بها نظريا و عمليا قبل تنزيلها في المؤسسات التعليمية لنضمن انخراط فعال ومثمر للمدرسين و المدرسات في جميع المراحل و هذا الامر يتأتى بمراعاة عدة خطوات نذكر منها :

تشخيص واقع المنظومة التربوية و بيان الحاجة الملحة للتجديد و الاصلاح و تطوير الآداء المهني للمدرسين و المدرسات و إظهار قدرة البيداغوجيا المتبناة على تحقيق التغير المنشود. لأن تبني أي تطوير أو تجديد أو إصلاح لا يمكن أن يحالفه التوفيق إلا باقناع جميع الاطراف التي ستوكل إليها مسؤولية تفعيل هذا الاصلاح و تنزيله على أرض الواقع بالحجج و البراهين المنطقية. كذلك تفصيل القول في الكفايات التي يستهدفها التكوين و في علاقة ذلك بالكفايات التي ينتظر أن تسهم البيداغوجيا في تنميتها بالنظر إلى حاجات المتعلمين و المتعلمات دون إهمال أي جانب أو التقليل من أهميته كمعرفة مثلا :

- ما ينبغي على التلميذ أن يتحكم فيه مع نهاية كل طور دراسي
- كالتركيز على اكتساب المتعلمين القدرة على التصرف حيال الوضعيات المركبة
- كتمرنه على ممارسة الكفاءة في وضعيات متكافئة مختلفة
- كاستعداده الدائم لممارسة الكفاءة و تطويره لها باكتساب تعلمات جديدة . . .إلخ .[11]
- توضيح مضامين المفاهيم و التقنيات و المهارات التي تتأسس عليها البيداغوجيا، فالمفهوم التربوي لا قيمة له في غياب تمثّل أوجه إستغلاله على أرض الواقع و توقع نتائجه.

و هذا الأمر لن يتأتى إلا بإعطاء أمثلة واقعية لا تترك مجالا للغموض و اللبس و التأويل. و هذه هي الطريقة التي تمكن من تملك المفهوم و تحويله إلى أداة قابلة للتوظيف و الاستثمار.

- إنتاج أنشطة متنوعة تستجيب لمقتضيات البرامج التعليمية في علاقتها بالبيداغوجيا المعتمدة وإخضاع المنتوج للتجريب عبر مواقف تعليمية مصطنعة، تسمح بالوقوف عند الجوانب التي تحتاج إلى تصويب أو تعديل أو حذف و كل ذلك يتم باستحضار المتعلم الذي هو المستهدف من أي إصلاح بيداغوجي [10].

- الاهتمام بآراء و مقترحات المدرسين و المدرسات و ملاحظاتهم لأن لهم دراية بالممارسة الميدانية وخصوصياتها و ضوابطها و إكراهاتها بما ذلك ملاحظاتهم حول أحوال المتعلمين و المتعلمات والبنية التحتية.

3 - المصاحبة الميدانية :

بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات ذات نظرة بعيدة لطرق التدريس و أنشطة التعليم و أسس التقييم فهي مقاربة تتمركز حول المتعلم لتجعل منه طرفا فاعلا نشطا يتعلم كيف يتعلم و كيف يمارس ما تعلمه عن دراية ووعي و ليس مجرد متلقي سلبي كل دوره الخضوع للمعلم الذي يحشو رأسه بزخم من المعلومات لا يلبث أن ينساها حينما يخرج من الموقف التعليمي. لذلك تطبيقها داخل المؤسسات التعليمية ليس بالامر الهين وتعتبر المتابعة الميدانية من أحسن الآليات لضمان نجاح هذه البيداغوجيا و تفعيلها على أرض الواقع والهدف منها تسهيل عمل المدرسين و المدرسات عن طريق تذليل كل العراقيل و الصعوبات التي تعيق الممارسة الميدانية لهذه البيداغوجيا. و من الافضل أن تسند مهمة المصاحبة الميدانية إلى ذوي الاختصاص من الذين إكتسبوا خبرات و تجارب ميدانية في المجال التربوي من جهة و لهم معرفة دقيقة بطبيعة وخصوصيات البيداغوجيا من جهة أخرى. إذ بإمكانهم مساعدة المدرسين على ترجمة المعطيات النظرية إلى ممارسة ميدانية تربوية دون أن يكون في عملهم هذا تعدي أو تجاوز للصلاحيات الممنوحة لهم. فالهدف من المصاحبة هو تقديم المساعدة و ليس المراقبة أو المحاسبة و إنما التوجيه و التوجيه بغرض الوصول إلى الاهداف المرجوة.

4 - خلايا التتبع عن بعد :

المتابعة عملية ممنهجة ، منظمة و مستمرة للتحقق إذا ما كان برنامج معين أو نشاط ما يسير حسب الأهداف المرسومة و في حدود الميزانية المخصصة له و بالتزامن مع الجدول الزمني المخطط له.

و فكرة خلق خلايا للمتابعة عن بعد عند تنزيل بيداغوجيا ما في المنظومة التربوية هي فكرة غاية في الأهمية لأنها تسمح لنا بالإقتراب أكثر من الكيفية التي تحرك بها البيداغوجيا، كما تسمح لنا بتتبعها على أرض الواقع التربوي. و يمكن تكوين هذه الخلايا محليا ، جهويا ووطنيا و يتم إنتقاء أفرادها من بين المشهود لهم بالخبرة و الدراية و الموضوعية في ميدان التربية و التعليم. و تتحدد مسؤوليات هذه الخلايا

التي يتم التنسيق فيما بينها في تلقي و دراسة التقارير التي ترد من الميدان حول ظروف تنزيل البيداغوجيا حتى تتمكن من الوقوف بكيفية منتظمة عند مختلف العمليات الميدانية من حيث انسجامها مع مقتضيات البيداغوجيا و التدخل للإصلاح و تصحيح الوضع و تعديله بالتنسيق مع الجهات المعنية بعد تحديد المشكل و طبيعته و كيفية تجاوزه.

5 - إحداث شبكات للتواصل و التنسيق :

و تعتبر هذه الآلية مهمة إذ يتم بمقتضاها تنمية هيكلا من الجهود الجماعية و المشتركة و تحقيق وحدة العمل و التصرف في إتجاه هدف محدد متفق عليه. كما أن هذه الآلية من شأنها الاسهام في تنزيل سليم لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات لأنها تفسح المجال للتشاور و التعاون و تبادل الخبرات و التجارب و توزيع الاختصاصات و تنسيق الجهود بين جميع الاطراف بهدف تحقيق الاهداف المرسومة بأعلى درجة من الكفاية و باقل تكلفة ممكنة، شريطة إنخراط الجميع بكل جدية و مسؤولية في مختلف العمليات. و من هذه النتائج "توحيد الرؤى و التصورات و التعاون في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل المطروحة كما تمكن من تقاسم التجارب الناجحة و المساهمة في تطويرها و تحسين تفعيلها. و لا شك أن شبكة الانترنت قادرة بحكم ما تمتلكه من مقومات تقنية و تواصلية على إعطاء دفعة قوية لهذه الشبكات و السير بها نحو تحقيق غاياتها و مقاصدها"[10]

6 - توفر المؤسسات التعليمية على المقومات الملائمة لتنزيل بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:

تعد المؤسسة التعليمية الفضاء الذي يحتضن تنزيل البيداغوجيا و لهذا يجب أن يكون معدا بكيفية جيدة. ومزودا بالعتاد و اللوازم الضرورية و من ذلك :

- توفر الموارد البشرية الكافية و المؤهلة لتفعيل ما تنص عليه البيداغوجيا
- توفر القاعات المناسبة المجهزة بكل المعدات و اللوازم التي تجعل العملية التعليمية تمر في فضاء مريح وفي ظروف ملائمة و مشجعة.
- تجنب الاكتظاظ لأنه يساهم في شل حركة الانشطة التعليمية و يؤثر سلبا على كل إصلاح بيداغوجي
- توفر الوسائل التعليمية بما في ذلك تكنولوجيا الاعلام و الاتصال
- توفر الاندية التربوية و تنوعها و هو أمر في غاية الأهمية لأن النادي التربوي "هو فضاء لتبادل وتعميق الخبرات و التعلمات و ربطها بالواقع المحلي و الآني" [12] فهو يفسح المجال أمام المتعلمين والمتعلمات لابراز مهاراتهم و مواهبهم و إعطاء دلالات لما يتعلمونه

- الانفتاح على الفعاليات الثقافية و الرياضية و الصحية و تمكينها من إنجاز أنشطة داخل المؤسسة وخارجها، فقد أصبح إنفتاح المدرسة على محيطها مطلبا ملحا.

7 - الادارة التربوية و دورها في تسيير و تنزيل البيداغوجيا:

إذا كان المتعلم هو المحور الأساس في العملية التعليمية/ التعلمية، وفي كل عملية تنشيطية لأنه هو المستهدف بالتكوين تكوينا سليما وصحيحا قصد تهذيبه وجدانيا وتنميته معرفيا وتحفيزه حركيا، والعمل على رعايته وتنشئته تنشئة سليمة قائمة على المواطنة والحفاظ على الهوية والانفتاح على الإنسانية وثقافة الآخر، فإن الإدارة التربوية تكمن أهميتها في التأطير والتنظيم والتنشيط التربوي، والعمل على تقوية التواصل بين مختلف المتدخلين في الحياة المدرسية

و مفهوم الإدارة في ميدان التربية والتعليم، ذكر في ثلاثة مفاهيم شاع استخدامها، وهي"الإدارة التربوية"، "الإدارة التعليمية"، و"الإدارة المدرسية". إن المفهومين الأول والثاني يعنيان شيئا واحدا، والخلط بينهما إنما جاء نتيجة الترجمة عن المصطلح الأجنبي Education، الذي يترجمه البعض إلى مصطلح التربية في حين يترجمه البعض الآخر إلى مصطلح " التعليم". أما المفهوم الثالث – "الإدارة المدرسية"، فيبدو أنه أكثر خصوصية، بحيث يحيل إلى الإدارة التي تشرف على مؤسسة تربوية، فيما يحيل المصطلحان السابقان على الإدارة التربوية في تراتبيتها بدءا من الوزارة الوصية وانتهاء بالمؤسسة التربوية مرورا بالأكاديميات والنيابات بمصالحها وأقسامها...

ورغبة في مسايرة الاتجاهات التربوية الحديثة التي تفضل كلمة "تربية " على كلمة "تعليم" - على اعتبار أن التربية أعم وأشمل - فإننا - سنستخدم مصطلح الإدارة التربوية

إن المهام المسندة لأطر الإدارة التربوية، تجعل إشراكهم في عملية تنزيل البيداغوجيا أمرا ضروريا، وطبيعة إشراكهم تختلف قليلا أو كثيرا عما هو عليه الأمر بالنسبة للمدرسين ، و بناءا على هذا ، وجب إعدادهم بكيفية جيدة ، وذلك ببيان الأدوار التي يمكنهم القيام بها، و كيفية تنفيذ هذا الدور أو ذاك، من خلال تزويدهم ببطاقات تقنية ذات طابع عملي، مع تقديم التوضيحات و الشروح الضرورية، التي تمكنهم من القيام بالمهام المنوطة بهم على الوجه المطلوب

و مدير المؤسسة قائد تربوي مهمته توفير المناخ الفكري والنفسي والمادي الذي يساعد على حفز الهمم وبعث الرغبة في العمل النشط المنظم، فرديا كان أم جماعيا، من أجل حل المشكلات وتدليل الصعاب حتى تتحقق أهداف المدرسة التربوية

9 - التكوين المستمر دعامة قوية لكل إصلاح بيداغوجي:

يعتبر التكوين المستمر رافعة أساسية لكل تجديد تربوي يروم مواكبة المستجدات البيداغوجية والديداكتيكية في أفق تحقيق الإصلاح التربوي المنشود. و هو خيار استراتيجي لا محيد عنه لكسب رهان الجودة، غير أن تفعيل هذا البرنامج وأجرأته يقتضي توفر شروط مادية ومعنوية تضمن التطبيق السليم له دون ارتجال أو تعثر. ويستهدف التكوين المستمر مسايرة التطور الذي يحصل عادة في بنيات العمل الذي يمارسونه والعمل على إشباع الحاجات المتطورة للعمل الذي يمارسونه، وهو تكوين يساعد على مواكبة التطورات والمستجدات والتحسن المستمر في الأداء وعلى الابتكار والتجديد.

انطلاقا من هذا يتضح أن التكوين المستمر هو قطب الرحى في بيداغوجيا التجديد التربوي شريطة استحضار بعض المبادئ التي تضمن تحقيق الأهداف التكوينية المرسومة.

والمبادئ الواجب مراعاتها خلال التكوين المستمر:

- إشعار المدرِّسين بالمسؤولية خلال التكوين المستمر:

يقتضي تفعيل هذا المبدأ جعل المدرسين مسؤولين عن تكوينهم، أي منحهم فرصة المحاولة من خلال تدخلات وأنشطة محددة وغائية تنطلق من رغباتهم وحاجياتهم خارج إطار العروض الرسمية أو المؤسسة التي قد تفرضها الجهات الوصية على منظومة التكوين.

ولعل ثقافة الإشراك والمسؤولية تسمحان للمدرسين بالتفاوض حول المحتويات والأشكال والبرامج وطرق التنفيذ والمتابعة بهدف تبنيها أو رفضها أو تعديلها.

- إدراج التكوين في التاريخ المهني للمكوَّنين:

إن التكوين المستمر يعتبر لبنة ودعامة ضمن سيرورة المسار المهني للمدرسين، تنضاف إلى ذلك مختلف الأنشطة التكوينية والتجارب الشخصية التي راكموها في حياتهم المهنية، لهذا لا يمكننا التغاضي عن الإرث التكويني للمدرسين الذي يشكل مجالا خصبا للتمثلات المركزة حول مهنة التدريس، كما أنه يحث المدرسين على التفكير في تصوراتهم المريبة حول طبيعة التكوين وأهدافه وحكم المكونين. وللتخفيف من حدة الشعور بالارتياب والشك -الذي يبدو طبيعيا - يجب تثمين الجهود المبذولة ولو فرديا عبر البحث عند كل فرد عن نقطة إيجابية أو إضافة نوعية تساعده على مواجهة إحساسه بالتردد، وتقوية الشعور بالثقة لديه لهذا يُتوقع أثناء التكوين المستمر إظهار النقط الإيجابية ووضعها في الواجهة من أجل تحفيز المكوَّنين وحملهم على بذل جهود مضاعفة تعزز لديهم روح المشاركة والتعاون والنقد البناء.

- توفير الحس الاجتماعي المهني للمُكوَّنين :

يتم من خلال هذا المبدأ توفير كل الشروط والدعامات التي تسمح بسيادة روح الفريق بين المكوَّنين عبر تعزيز قيم التشارك والتعاون وتبادل الخبرات، والرغبة في إنجاز مشاريع جماعية حتى يتسنى لفريق العمل الاشتغال وفق خطة عمل موحدة ومنسجمة، غير أن تحقيق هذا الرهان يفترض قيام كل فاعل تربوي بمهامه ومسؤولياته.

- كفايات المدرس من منظور التكوين المستمر:

لا يجادل أحد في القيمة المضافة التي يوفرها التكوين المستمر لفئات مختلفة من المكوَّنين شريطة تحويله إلى فلسفة تحكم عملنا وتخطيطنا لمهنة التدريس.

وقد أثبتت الأبحاث الأمبريقية تفوق البرامج المبنية على الكفاية مقارنة مع طرق التكوين التقليدية المرتكزة أساس على المعارف، وعلى التكوين النظري المجرد. لذلك يجب اعتماد برامج قائمة على الكفايات خلال فترات التكوين المستمر، باعتبارها مجموعة من الإجراءات التي تساعد المدرس أثناء الإعداد على أن يكتسب المعلومات والمهارات والاتجاهات التي تسهم في إعداده ليؤدي دوره بفاعلية.

لكن السؤال الذي يلح علينا هو كيف يساهم التكوين المستمر في تطوير الكفايات المهنية للمدرسين؟ وما هي كفايات المدرس التي تجعله مؤهلا للقيام بأدواره الجديدة؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين تقتضي في البداية تغيير نظرتنا إلى مفهوم "التكوين المستمر" فهذا الآخر لا يجب النظر إليه كحق لتطوير الممارسة الشخصية، بل كواجب على كل فرد/ مدرس في حدود حجم مساهمته في التنمية المهنية ومن ثم لم يعد مسموحا غض الطرف عن المكاسب المنتظرة من هذه الدينامية المؤسسة والمكانة المميزة للتكوين المستمر ودوره في تطوير الكفايات المهنية للمدرسين. لكن قبل الشروع في صياغة برنامج التكوين المستمر يجب استحضار عاملين اثنين:

-أولا: فحص طبيعة الكفايات التي نريد بناءها، وهنا تظهر بعض الكفايات المهنية الملحة التي تبدو أكثر نجاعة وإجرائية.

-ثانيا: يجب التساؤل أيضا عن المبادئ والشروط التي يجب احترامها من أجل ضمان بناء ما؟

نماذج من الكفايات التي يمكن بناؤها خلال التكوين المستمر :

1 - كفاية الانعكاس أو تحليل الممارسة:

يرى منظرو التربية الحديثة أن المدرس الناجح يجب أن يمتلك كفاية التبصر والانعكاس والقدرة على استيعاب الآثار الجانبية للمهنة، حينذاك نكون في محور التعليم الذي يحدس ويستبق الأفعال المعرفية للتلاميذ، بعد ذلك تتم ملاحظة مدى نجاحهم أو إخفاقهم وهنا نكون في محور التعلم.

2 - كفايات مرتبطة بشخصية المدَرِّس:

رغم الوجاهة الاجتماعية للمدرس، إلا أن هناك جانبا شخصيا يظل مجهولا، أو مغيبا سواء من طرف المجتمع أو المؤسسة التربوية بمختلف مكوناتها (إدارة - جمعيات الآباء - مؤطرون - تلاميذ) إذ نتناسى أن المدرس فرد من المجتمع له أحلامه وطموحاته ومشاكله ونقائصه أيضا. وغالبا ما يتم التعامل مع المدرس كشخص مثالي معزول عن الواقع، ونتجاهل كل العوائق المحيطة بالمدرس الذي يتمزق داخليا والذي لا يستحمل ضغط التلاميذ الذين يزعجونه والآباء الذين ينتقدون عمله، والإدارة التي تطلب منه العمل أكثر. ولا شك أن هذه الضغوط والإكراهات قد تحول دون الأداء الجيد للمدرس، لذلك يجب العمل في اتجاه تعزيز حضور بعض الكفايات الشخصية التي تبدو ضرورية بالنسبة لممارسة المهنة ونذكر من بينها:

1 - كفاية التواصل:

يتم اكتساب هذه الكفاية عبر الإفادة من نظريات علم التواصل، وعبر معرفة الغير، والقدرة على نسج علاقات إيجابية مع الآخرين سواء داخل الفصل مع التلاميذ، أو مع كل تلميذ على حدة أو خارج الفصل، مع المدرسين والآباء والإداريين والمؤطرين التربويين ومع شركاء آخرين، وهذا يعني أن المدرس يجب أن يمتلك أساليب مختلفة للتواصل تساعده على اكتساب حل المشكلات في وضعية صعبة.

2 - كفاية التحكم في الانفعال:

يجب على المدرس الناجح أن يتميز بضبط النفس والقدرة على التحكم في الانفعال لكي يتجنب ردود الفعل السريعة والعنيفة والتي قد تؤدي إلى نتائج غير محمودة. ولعل تاريخ الممارسة التربوية مليء بالحالات التي يمكن أن تشكل موضوعا للاشتغال من أجل اكتساب هذه الكفاية. فالمدرس قد يحتاج إلى استثمار هذه الكفاية أمام تلميذ يفتنه أو يغضبه، أمام فصل يفاجئه، أمام أب يعنفه... لذلك يجب على المدرس التحكم في انفعالاته ليظل سيد نفسه، وسيد وضعيته المهنية.

3 - كفاية الالتزام:

تعني هذه الكفاية أن يمارس المدرس عمله بمواظبة وإخلاص والتزام، مع مراعاة أخلاقيات المهنية، لذلك على المدرس أن يظهر رغبة دائمة في الممارسة وفي الاستفادة من تكوين حقيقي طوال مساره المهني.

إن الحديث عن كفايات المدرس لا يتخذ شكلا ثابتا ومستقرا، بل هو حديث ذو شجون يستدعي النبش في حفريات علم التدريس من أجل مواجهة التحديات المطروحة على مهنة التدريس، ولن يتأتى ذلك إلا باضطلاع المدرسين بأدوار جديدة تقتضي اكتساب كفايات ملحة تستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة.

وتجدر الإشارة إلى أن فليب بيرنو، قد حدد عشر كفايات على المدرسين اكتسابها ليصبح أداؤهم التربوي أكثر جودة واحترافية.

ويظهر جليا من خلال الحديث عن كفايات المدرس أنها تحتوي على أربعة أبعاد: البعد الأخلاقي والبعد الأكاديمي والبعد التربوي والبعد التواصلي.

وفي النهاية، نخلص إلى القول بأن الحديث عن كفايات المدرس لم يعد ترفا فكريا، بل أضحى ضرورة ملحة لتطوير الأداء التربوي وتحقيق الجودة التربوية المنشودة، ولعل تحقيق هذا المسعى النبيل رهين بتضافر جهود جميع الفاعلين التربويين، وبسن سياسة تكوينية هادفة تجعل التكوين المستمر في قلب الممارسة التربوية.

الخاتمة :

يعدّ التعليم واحداً من أهمّ وأبرز الأمور الّتي يحتاج الإنسان إليها، لأنّه يلبّي كافة احتياجاته الأساسية الّتي يسعى خلفها، و هو سبب الظّهور والرقي والرفعة، فقوته تغذي الأسس و الدعامات و المرتكزات و المنابع التي تضخ الدم في شرايين المجتمع، و تحوله إلى خزان تتدفق منه أسباب الحياة و مقوماتها، التي تمكنه من أن يعيش حياة كريمة ، فيها عزة و أنفة و ثقة بالنفس، و عدم الشعور بالنقص.

و لن يحصل هذا و يتحقق على أرض الواقع ، إلا بوجود تعليم فاعل في شتى مناحي الحياة، تعليم يتطور و يتجدد باستمرار، و يواكب المستجدات و التحولات، وفق شروط و ضوابط تنفع و لا تضر، مؤكدين على أن كل إصلاح بيداغوجي، يتوقف نجاحه على اقتناع وايمان الجميع بالحاجة إليه و قدرة البيداغوجيا المتبناة على الاستجابة لذلك.

و كل هذا يحمس و يشجع المعنيين على المشاركة فيه، و الاقبال عليه بكل ثقة و اطمئنان، آخذين الأمور مأخذ الجد ، متحملين مسؤولياتهم، وغير آبهين بكل ما قد يعترض سبيلهم من مظاهر الاحباط حيث تكون جهود الجميع ، متفرغة لضمان و تأمين كل السبل التي تيسر التنزيل المحكم و المثمر للبيداغوجيا ومقتضياتها، مع ما يتطلبه الموقف من صبر و مرونة.

و على هذا فإن كل تخطيط في هذا المجال مطالب بإستحضار خصوصيات و حاجات المتعلم، باعتباره محور العملية التعليمية التعلمية ، فالتمركز حوله أمر مطلوب من أجل تمكينه من اكتساب المقومات، التي تجعله عنصرا مساهما بكل وعي و مسؤولية في التنمية المنشودة " هدف عملية التعليم أن يشعر الطلاب بمعنى وجودهم، الأمر الذي يتطلب جعلهم يدركون القيمة التي يمكنهم منحها للآخرين و كيف يجعلون من أنفسهم مفيدين للآخرين الذين بامكانهم منح الطلاب القيمة و الاحترام بدورهم، و هذا

باعتقادي ما يتضمنه التعليم الأسمى ألا و هو تمكين الطلاب من التطور، و تزويدهم بالقدرة على الاسهام في تطوير المجتمع الذي يشكلون جزءا منه"[13]

المراجع و المصادر:

[1] موقع إلكتروني :

(Salah Hamouda :بحث عن أهمية الإدارة مدرسية 2017)

(http://vb.elmstba.com/t208227.html

[2] Emile Durkheim, éducation et sociologie, 1éme Ed de la nouvelle Ed, 1922,P96

[3] عبد الكريم غريب:بيداغوجيا الكفايات،ط1،منشورات عالم التربية، المغرب، 2004

[4] إبن منظور : لسان العرب - مادة الياء المعتلة - دار صادر، بيروت،1410

[5] إلهام أبو المعاطي سرحان: إتجاهات أساتذة مدارس البساتين نحو التدريس بالمقاربة بالكفاءات ، رسالة ماجستير، جامعة حلوان ، مصر ،2004

[6] حاجي فريد: بيداغوجيا التدريس بالكفاءات - الأبعاد و المتطلبات - دار الخلدونية للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2005

[7] علي أفرفار: دفاتر - مختبر الأبحاث و الدراسات النفسية و الاجتماعية - جامعة ظهر المهراز ، فاس، المغرب ، العدد 07 ، 2013

[8] الدريج محمد: الكفايات في التعلم -من أجل تأسيس علمي للمنهاج المندمج - مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب ،2000

[9] FERHI, Mohamed, l'optimisation de portefeuilles par la logique floue

[10] الحسن الساسيوري : البيداغوجيا بين التصورات النظرية و الممارسة العملية،مجلة علوم التربية، العدد 67 ،المغرب 2017

[11] كمراوي فطيمة: المقاربة بالكفايات - بيداغوجيا الإدماج - منشورات ثالة الأبيار، الجزائر ، 2006

[12] دجينبر ، 2008، ص 150

[13] راسل ل.آكوف و دانييل غرينبرغ: توجيه التعليم عقبا على رأس - وضع التعليم على النهج الصحيح - ط 01 ، الدار العربية للعلوم محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت ، 2009